البنـــاء

السنة السابعة / الثلاثاء / 17 تشرين الثاني 2015 / العدد 1935
Seventh year / Tuesday / 17 November 2015 / Issue No. 1935

قمة العشرين: تغيّر موازين القوى الدولية

■ حميدي العبدالله

منذ سقوط الاتحاد السوفياتي هيمنت الولايات المتحدة، ومن خلالها الغرب على العلاقات الدولية، وغاب وجود أيّ معسكرات منافسة للغرب، وأصبحت اجتماعات الدول الصناعية السبع، والتي أضيفت إليها روسيا يلتسين لاحقاً لتصبح مجموعة (7+1) لتهيمن على صناعة القرار الاقتصادي والسياسي على المستوى العالمي.

لكن بعد الأزمة الاقتصادية التي ضربت الاقتصادات الغربية، وعلى رأسها الاقتصاد الأميركي، وفشل محاولات الخروج منها، واستمرار معدلات نمو الاقتصادات الغربية تدور حول نسبة 1% بدأت العلاقات الدولية تشهد تغيّراً ملحوظاً، بداية من خلال استحداث إطار دولي جديد ليحلّ محلّ مجموعة الدول السبع، وليكون فاعلاً في معالجة الأزمات الاقتصادية، وتزامن ذلك مع ولادة شكلين آخرين لتكتلات إقليمية، الشكل الأول ما عُرف بمنظمة أو مجموعة شنغهاي، والثاني ما عرف بمجموعة بريكس ليفصح ذلك عن وجود تحوّل عميق في العلاقات الدولية على الصعيد الاقتصادي، أساسه تغيّر توازن القوى الاقتصادية عبر تصاعد قدرات دول بريكس وانحدار قدرات الدول الصناعية التقليدية، الأمر الذي أحدث تغييراً ملحوظاً حتى على المستوى السياسي، بحيث باتت اجتماعات قمة العشرين، وما يصاحبها من تداول في الشؤون السياسية الدولية، أكثر أهمية وأعمق تأثيراً على العلاقات الدولية من اجتماعات الدول الصناعية السبع والبيانات الصادرة عنها، سواء ما يخصّ الشأن الاقتصادي الدولي أو الشأن السياسي، لما للدول الأخرى المجموعة الصناعية التقليدية من تأثير ولا سيما على المستوى الاقتصادي.

لا شك أنّ عودة روسيا إلى محافل السياسة الدولية، ورفضها للنظام الدولي الأحادي بقيادة الولايات المتحدة والغرب، والدعم الذي تحوز عليه من مجموعة بريكس لسياستها الداعية إلى إقامة نظام دولي متعدّد الأقطاب، وإسهامها النشط والفعّال في التصدّي للمشاكل الدولية، ولا سيما في منطقة الشرق الأوسط، أضاف بعداً سياسياً كبيراً لقمة العشرين، ولا سيما هذه القمة التي جاءت بعد التدخل العسكري الروسي في سورية، وما نتج عنه من كسر العزلة على روسيا التي حاول الغرب فرضها عليها من جديد على خلفية الأزمة الأوكرانية، إذ تبوأ الرئيس الروسي فلاديمير بوتين مكانة مرموقة في قمة العشرين التي تعقد الآن في تركيا، وباتت أهمية روسيا ورئيسها في مداولات القمة السياسية تفوق أهمية الولايات المتحدة التي هيمنت على أجندة القمم الدولية في مراحل سابقة.

في ضوء كلّ ذلك يمكن القول ويمكن الاستنتاج الأكيد، ومن دون مبالغة، أنّ قمة العشرين في تركيا تعبّر هذه المرة عن تبدّل عميق في موازين القوى الدولية.

هكذا تُقرّ «إسرائيل» بتورّطها في التفجيرات الثلاثة

ليس وارداً بالنسبة إلى أي جهة استخباراتية تستمع إلى الموقف «الإسرائيلي» بعد تفجيرات باريس، سوى رفع مستوى دائرة الشكوك حول معلوماتها والتوقف عندها بما يتعلق بتفجيرات باريس التي قال بعدها، بنيامين نتنياهو إنه يعرف ما يساعد في التحقيقات ولديه معلومات عن خلايا لـ«داعش» جمعتها استخباراته، أي جهاز «الموساد».

أرسل نتنياهو رسالة إلى الرئيس الفرنسي يتحدث فيها عن معلومات تربط بين إسقاط الطائرة الروسية والاعتداءات في بيروت وباريس، مُستفيداً من المناخ الذي أرسته تفجيرات فرنسا لدخول تل أبيب على خط التحقيقات، كمساعد وحريص على كشف الحقيقة ليتبين أنه يملك الكثير، زاعماً أنّ «الموساد» تمكن من التنصُّت على خلية مركزية تابعة لـ«داعش»، آملاً أن تصبح «إسرائيل» لاعباً مركزياً في الحرب على الإرهاب.

تشرح هذه المبادرة «الإسرائيلية» دقة المشهد وتكشف عن حقيقته أكثر فأكثر، فـ«إسرائيل» التي تعرف حساسية دخولها على ملفات أمنية كهذه، تدرك أنّ لها فيها مصلحة كبرى، وعلى هذا الأساس لم تتوان عن عرض المساعدة للعالم هذه المرة، طالما أنها قادرة على مساعدة الروس واللبنانيين والفرنسيين في كوارثهم، وهنا تتوضح النوايا «الإسرائيلية» في العمل على فكّ العزلة الدولية والحصار اللذين لا تستطيع كسرهما بحيث شعرت، لأول مرة منذ الاتفاق النووي مع طهران، بدقة الوضع وصولاً إلى مؤتمر فيينا الذي كاد يرسم خطوطاً عريضة للنجاح كونه المؤسّس لحلّ الأزمة السورية، بمعزل عن أي دور أو تطمين لـ«إسرائيل» في المشهد المقبل. وعلى هذا الأساس، يتوجب الدخول «الإسرائيلي» السريع على خطّ المفاوضات والتسويات.

المستفيد الأكبر من التفجيرات الثلاث هي «إسرائيل» التي تُرسل رسائل إلى الأطراف الثلاثة، مفادها عدم القدرة على تخطي تل أبيب، كلاعب إقليمي قادر على الحلّ والربط، وربما هذه التفجيرات أتت بعد اللقاء الأهم في واشنطن الذي جمع منذ حوالي أسبوع الرئيس الأميركي باراك أوباما ورئيس الوزراء «الإسرائيلي» نتنياهو والذي لفت الأنظار بكونه يحمل الكثير من الانسجام بعد الأجواء السيئة والعلاقة المتدهورة بين الرجلين التي سادت المرحلة الماضية، وخصوصاً ما أظهره أوباما بعدم استقباله نتنياهو غداة الخطاب الشهير أمام الكونغرس حول إيران.

في ختام اللقاء بينهما، أكد الجانبان أهمية الحدّ من أنشطة حزب الله و«داعش»، وكأنّ «إسرائيل» تريد اليوم التأكيد للعالم أنها قررت خوض معركة الإنسانية ومكافحة الإرهاب من بوابة فرنسا، وهي تسعى بذلك، إلى تبييض صورتها المقيتة أمام العالم وما أفرزته انتفاضة السكاكين من أعمال صهيونية قذرة، عدا عن كلّ مجازرها في حقّ الفلسطينيين واللبنانيين. والعجب كلّ العجب إعلانها الصريح عن نوايا لمكافحة إرهاب ليس إلا صنيعتها.

على هذا الخط، يُفاخر وزير الحرب «الإسرائيلي» موشيه يعالون بأنّ «إسرائيل» نجحت في ردع تنظيم «داعش» في سورية وأنّ مقاتلي التنظيم المتشدّد لم يفتحوا جبهة ضدّ «إسرائيل» في هضبة الجولان وأنّ استخبارات بلاده تعمل على رصد تحركات «داعش» في سورية وتراقب أنصاره في قطاع غزة والضفة الغربية.

يُفاخر يعالون بقدرة دولة العدو على عزل الإرهاب عنها عنوة عن كلّ العالم، مطمئناً الجبهة الداخلية واستثمار حكومته للتفجيرات المتنقلة. وعلى هذا الأساس، إذا كانت «إسرائيل» قد جمعت كلّ هذه المعلومات عن خلايا «داعش»، لماذا لم تعرض مساعدتها على الرئيس المنكوب بسلوكه وقصر نظره طيلة الأزمة السورية فرانسوا هولاند قبل وقوع التفجيرات؟ كيف يمكن لجهاز «الموساد» أن يتفوق على كلّ الأجهزة في المنطقة ويدخل على خط معلومات تفجيرات دقيقة وخطيرة وهي الطائرة الروسية وتفجيرا بيروت وباريس؟

الأسئلة وما تحتويها من شكوك تؤكد إقرار «إسرائيل» بتورطها الأضخم واستغلالها للتداعيات ومخاوف الدول الكبرى من أجل الدخول على خط التسويات.

عزلة «إسرائيل» قاتلة لكنها ضُبطت بالجرم المشهود.

«توب نيوز»

قمة الـ20

ـ الرهان الغربي على المماطلة في الذهاب إلى التسويات كان مبنياً بعد بدء عملية فيينا ومسارها السياسي على الرغبة التفاوضية لثمن يقابل الاعتراف بالتخلي عن الدعوة إلى تنحّي الرئيس السوري.

ـ المقابل العملي كان في الكواليس يطال تصنيف فصائل «أحرار الشام» و«جيش الإسلام» والمطالبة باستثنائهما من لائحة الإرهاب، فواحد للسعودية وآخر لتركيا.

ـ المقابل الثاني كان السعي إلى وضع تفاهم أوباما ـ نتنياهو بمراقبة أسلحة حزب الله شرطاً للتفاهم على الرئاسة السورية.

ـ جاءت مذبحة باريس لتقول إنّ المعارك المحتدمة تطرح مصير الإرهاب على الطاولة، وإنّ الزمن لا يحتمل ترف المماطلة، فمن جهة الوقت يطوي معه هيمنة «داعش» و«النصرة» على الجغرافيا السورية فتنخفض الحاجة إلى التفاوض، ومن جهة يهرب الإرهاب ليضرب في أوروبا لإستعادة هيبته، والوقت يصير بدماء الأوروبيين وأمنهم.

ـ اضطر الأميركي إلى تعديل روزنامته والعودة إلى خطة فيينا والتزام تجاهل الرئاسة السورية وقبول اعتبارها شأناً سورياً صرفاً.

ـ في قمة العشرين عاد الأميركي مرغماً إلى بيت الطاعة رغم رغبته بالمناورة.

ـ كلما تقدّم الميدان تغيّرت شروط التفاوض.

– تريد السعودية وتركيا و«إسرائيل» أثماناً من دون مصادر قوة.

التعليق السياسي

ستبقى الضاحية ولبنان قلعة حصينة في مواجهة الإرهاب

■ عباس الجمعة

شكل الإرهاب التكفيري العابر للحدود العربية أداة الحلف الاستعماري الصهيوني الرجعي لتدمير القوى الحية ولاستنزاف محور المقاومة، لكننا نرى، بالعين المجردة، حجم المؤامرة التاريخية التي تستهدف المنطقة، ما يتطلب مواجهته بكافة الأشكال من أجل إنهائه.

إنّ جريمة برج البراجنة تُنذر بحالة غير مسبوقة من الإرهاب والترويع ستشهدها المنطقة العربية قد تغطي على الإرهاب الصهيوني، وقد يكون ذلك أحد أهدافها. فالمنطقة مقبلة على حالة غير منضبطة وغير خاضعة لقانون أو شرعية دولية، ولا لتعاليم دينية، ولا لأخلاق إنسانية، وبالتالي فإنّ ما هو على المحكّ ليس ما يسمونه الخطر الإرهابي بل مقتضيات النمو والهيمنة الإمبريالية الصهيونية على مقدّرات وثروات شعوبنا واحتجاز تطورها واستمرار تخلفها. لكنّ المقاومة ستستمر وتزداد اشتعالاً في مواجهة الإرهاب التكفيري والمشاريع الإمبريالية، رغم كلّ الظروف المعقدة الراهنة حتى الانتصار، كما تمكنت المقاومة من تدمير خرافة التفوق الصهيوني بدحر جيش الاحتلال عن معظم الأراضي اللبنانية المحتلة، دون قيد أو شرط، وبعد أكثر من خمسين عاماً من قيام القاعدة الصهيونية الاستعمارية على أرض فلسطين تحقق أول انتصار تاريخي عليها، وفقدت الإمبريالية القوة الرادعة لقاعدتها العسكرية المتقدمة التي زرعتها في فلسطين واعتمدتها لإخضاع الأمة العربية.

إنّ الإرهــاب التكفيري اليــوم يشكل الأداة الاستعمارية التي تمّ استنباطها وتوليفها لتعوض العجز الصهيوني وهي بالأمر الأميركي وفي لعبة ازدواج كلامية مفضوحة تحظى بدعم القوى الاستعمارية وحلفائها في المنطقة.

أمام كلّ ذلك نرى دماء الأبرياء، توجب علينا أن نتكاتف كالبنيان المرصوص، في وجه الإرهاب بكلّ أشكاله، لأنّ المعركة الوجودية المفروضة على الشعب العربي وهي معركة قومية تتركز حتى الآن في لبنان وسورية والعراق ومصر والجزائر وتونس وليبيا واليمن والتحدي السياسي والتنظيمي الراهن هو الانتقال إلى صياغة خطة قومية لتدمير قوى التكفير الإرهابية العابرة للحدود والتي لا يجدي معها توهم القدرة على صدها بالمعنى الدفاعي الضيق، ناهيك عن الإجهاز عليها ضمن الحدود القطرية لكلّ دولة بمفردها.

إنّ الاتجاه الصحيح لمجابهة التحدي الراهن الذي يتطلب من الأحزاب والقوى العربية تنسيق المواجهة وتوحيد الجهود الحكومية والشعبية في جميع البلدان العربية المستهدفة والمهدّدة ولإقامة التنسيق العابر للحدود في وجه العدو التكفيري.

ليس من المبالغة تشبيه التحدي الراهن بما جرى عشية نكبة فلسطين، ولكن على جميع القوى الحية القيام بواجبها بالدفاع عن الشعب العربي في مواجهة التكفير ومقاومة الحلف الاستعماري الصهيوني الذي تتعرض له المنطقة والمقاومة الصامدة بكلّ بسالة وشموخ دفاعاً عن كلّ العرب وكلّ العالم المهدّد بالويلات والمجازر.

إنّه الواجب القومي والوطني والأخلاقي، ولا بدّ من حشد جميع القوى والأحزاب والحكومات والنقابات والجيوش والقوى الشعبية في هذه المعركة المصيرية وكلّ جهد خارج هذا السياق ليس سوى هدر للإمكانات والطاقات التي يجب صبها لإنقاذ الأمة من براثن الإرهاب التكفيري الصهيوني، فالمرحلة تتطلب تحديد المواقع والخيارات الفعلية لسائر الأطراف وينبغي فضح المتخاذلين ومواجهة المتآمرين.

إنّ خطر الإرهاب، بالمستوى الذي يتصوره البعض كخطر محدود في أهداف عملياته ومجالها وزمنها، وبالتالي يحدّد مستوى مواجهته بالوتيرة المحدودة التي تتم حالياً، فالإرهاب في غاية الخطورة وخطر لا محدود يكون الجميع معه أفراداً وجماعات وكيانات أهدافاً محتملة لعملياته، وما جرى من تفجيرات في برج البراجنة يؤكد ذلك، وبقاء القوى الإرهابية دون استئصالها سيشكل كارثة حقيقية.

إنّ الجريمة التي ارتكبتها عصابات الإرهاب التكفيري في برج البراجنة لا تخدم سوى الاحتلال الصهيوني وأعــداء لبنان وفلسطين والأمـة، ومخططاتهم الهادفة إلى زعزعة استقرار المنطقة، ولكن نحن على ثقة بأنّ المقاومة مستمرة في حربها ضدّ الإرهاب التكفيري، الوجه المتنكر للصهيونية، وأنّ المقاومة على دراية كافية بأنّ معركتها هي معركة الطريق نحو فلسطين، والعمليات الإرهابية التي تنفذها القوى الإرهابية، لن تزيد المقاومة إلا إصراراً على مواصلة الطريق، والقضاء على تلك المجموعات الإرهابية، فالردّ الوحيد على تلك العمليات هو مواصلة الكفاح ضدها.

من هنا نرى أنّ العملية الإرهابية التي حصلت في برج البراجنة، تقابلها الانتصارات المتتالية التي يسطّرها الجيش السوري والمقاومة اللبنانية ضدّ الإرهاب في سورية، وإنّ استهداف المدنيين الأبرياء من مجتمع المقاومة وأهلها، ظناً من القوى الإرهابية بأنها قادرة بذلك على ليّ ذراع المقاومة، وإحراجها أمام جمهورها، ستفشل أمام إرادة وصمود الشعب اللبناني الذي يعلم أنّ المقاومة تشكل له نبراساً مضيئاً.

إنّ محاولة العصابات الإرهابية زجّ الهوية الفلسطينية في عملياتها الإرهابية ضدّ مجتمع المقاومة في لبنان، في محاولة يائسة منها لإحداث فتنة بين جمهور المقاومة والشعب الفلسطيني، عبر الإيحاء بأنّ الفلسطيني هو من يفجّر بأبناء الضاحية، هي محاولات فاشلة، لأنّ ما جرى من تفجيرات امتزج فيها الدم اللبناني والفلسطيني في ساحة الشهادة، وإنّ القوى الإرهابية لا دين لها ولا جنسية، وإنّ طهارة القضية الفلسطينية لا يدنسها من يبيع نفسه، وستبقى المقاومة وجمهورها الداعم الأول للشعب الفلسطيني ولقضيته، وإنّ ما جرى يأتي بالتزامن مع الانتفاضة الفلسطينية في الأراضي المحتلة، وما رافقها من دعم واسع من قبل لبنان وأحزابه وقواه ومقاومته، وخصوصاً ما أعلنه السيد حسن نصرالله في ما يخصّ الدعم المطلق للانتفاضة الفلسطينية من دون أي اعتبارات أخرى، وأنّ الفلسطينيين واللبنانيين في خندق واحد في مواجهة الإرهاب كما كانا في خندق المقاومة، وأنّ الفلسطينيين في المخيمات اللبنانية حريصون، كما اللبنانيون، على أمن لبنان واستقراره.

من هذا المنطلق يجب أن نعمل سوياً، بمسؤولية وجدية وتضافر، لنشكل حائط صدّ قوي أمام خطر الإرهاب الداهم، وجميعنا يجب أن يكون في مستوى التحدي صفاً واحداً لإحباط المؤامرة التي تستهدف وجودنا.

ختاماً، لا بدّ من القول، لن تمر الفتنة عبر قلوب عشقت الشهادة، لن تسقط فلسطين من وجدان الشرفاء، ستبقى الضاحية كما عهدناها منارة المقاومة والشهداء، وأحد أعمدة بنيان المواجهة على طول خطوط الصراع مع الكيان الصهيوني وأدواتـه. هي الضاحية ترتبط بالعز والإباء كلما داهمها الإرهــاب، شهداؤها يُشيّعون بهتافات «كرامتنا من الله الشهادة»، وجرحاها يرفعون شارة النصر يداوون بقبضاتهم جراح أمة بأكملها، نحن نعيش في منطقة ساخنة، وكلّ يوم نرى مثل هذه التفجيرات، في فلسطين، والعراق، ولبنان، وسورية، ومصر، المهم الآن أن تبقى معنوياتنا عالية ونبقى على يقظتنا وتكاتفنا وتلاحُمنا في مواجهة الأخطار المحيطة بنا.

* كاتب سياسي

حوار الطرشان في فيينا... والإرهاب المتنقّل

■ د. سلوى الخليل الأمين*

ماذا يعني هذا الإرهاب المتنقل بسرعة البرق من شرم الشيخ إلى الحيّ الشعبي في برج البراجنة إلى أماكن الرياضة والفن المسرحي والمطاعم في باريس؟ هل هي نقطة الانطلاق إلى مسار جديد يرسم حدود الدولة الداعشية الإرهابية التي أرساها العقل الغربي المتحجّر، فوق أرض سورية والعراق ولبنان، ومن ثم يحاول تخفيف مفعولها من فيينا، التي يصول فيها الأميركي والسعودي ومندوب الأمم المتحدة بعقل متحجّر عنوانه الكبير بكل بساطة: خروج الرئيس بشار الأسد من حكم سورية.

السؤال هو: هل بات هذا الإرهاب المتنقل مربوطاً بالخوف من ثبات سورية في الميدان بقيادة الرئيس بشار الأسد الواقف بثبات ضدّ مؤامراتهم الشيطانية، التي رسموها وخططوا لها، من دون ان يدروا أنهم سيقعون في شرّ أفعالهم كما حدث البارحة في باريس!

ثم هل تبنى الصراعات الدولية المتنقلة، القائمة على سوء الظنّ والشبهة، وعدم إدراك حالة الصمود والتصدّي الثابتة في الأجندات السورية، بدءاً من محاربة العدو الصهيوني، وانطلاقاً إلى الذود عن حياض الوطن في وجه المؤامرة الكونية الحالية، التي مارست كلّ أساليب الغباء الغربي المكشوف، من إعلام وتجنيد عملاء وضغط على الحلفاء من أعراب وأتراك ومرتزقة من جميع أنحاء العالم، من أجل تدمير فكرة المقاومة والدفاع عن الوطن التي تزداد علواً كلما أمعنوا في دعم العصابات التكفيرية الإرهابية، التي صنعوها وموّلوها وأنتجوها وأطلقوها في بلاد الشام، بعد أن منحوها «بركاتهم» المغطاة بوسائل إعلامهم الذي يبث فبركاته الإعلامية التي تدين الرئيس بشار الأسد وقائد المقاومة السيد حسن نصر الله، بسبب اتخاذهما القرار بإجهاض المؤامرة والقضاء على الإرهاب مهما بلغت التضحيات.

لهذا، وبعد خمس سنوات من الصمود المشرّف في سورية، ودخول روسيا المعركة من أجل المساندة في القضاء على «داعش» و«النصرة» وأخواتهما، ونتيجة للتقدّم الكبير الذي يحرزه الجيش السوري مع حلفائه، في تحرير المناطق الرزاحة تحت سلطة الإرهابيين من «داعش» و«النصرة» و«جيش الفتح» و«أحرار الشام» وغيرهم، خصوصاً في أرياف حلب وحمص ودرعا، وانكفاء الدواعش عن العديد من القرى والبلدات وتحرير مطار كويرس إلى جانب الطرق الدولية بين حلب ودمشق وبين حمص ودمشق، جعل العقل الشيطاني يعمد إلى إرسال متفجّراته إلى شرم الشيخ في مصر وبرج البراجنة في لبنان وإلى العاصمة الفرنسية باريس، الغافية على ماض استعماري ما زال رنين أجراسه يداعب مخيّلة الرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند المُدان حالياً من شعبه بسبب تدخله في سورية، وقبلها غزو ليبيا وتسليمها لقمة سائغة إلى الإرهابيين، من دون أيّ التفات، إلى المستقبل الحامل نار الجحيم الذي قلب السحر على الساحر، بفاجعة كبيرة لم تحتملها باريس ولا أوروبا برمّتها، ولا حتى الرئيس الأميركي باراك أوباما الذي يتجاهل ما يعانيه الإنسان العربي على امتداد جغرافية هذا الشرق المبتلي بمؤامراتهم الشريرة.

لقد أعلن الرئيس الفرنسي صراحة، بعد اجتماع مجلس الدفاع الفرنسي الأعلى، الحرب على «داعش» الإرهابية بالقول: «إنها الحرب المفتوحة على الإرهــاب»... نفهم جيدا هذا القرار، لكن السؤال الذي لا بدّ من طرحه هو: لماذ لم تهزّكم حالات الذبح والقتل والتدمير والتهجير التي تعرّض لها الشعب في سورية وما زال، وأيضاً التفجيرات التي تحصد المئات من الناس في كلّ من العراق ولبنان؟ ثمّ ألا يظنّ الرئيس الفرنسي ومن يدعمه من قادة العالم وفي طليعتهم الرئيس الأميركي أنّ المناداة بالحرب على الإرهــاب والحلّ السياسي في فيينا، وتحديد الأهداف بإسلوب عدائي، مبطن بالمصالح الخاصة، التي ترسم حسابات الربح دون الخسارة، وتجاذباتها التي ستخضع مستقبلاً إلى ارتفاع كفة النصر لصالح سورية وحلفائها، التي قد تكون بحاجة إلى إغلاق ملف فيينا المهزوز عبر التفتيش عن معارضة سورية معتدلة، والتواصل بسرعة مع مَن هم على أرض الميدان بكلّ أجهزتهم المخابراتية والعسكرية والبشرية من أجل تنظيم الحرب على الإرهاب، التي أعلنها «مشكوراً» الرئيس فرانسوا هولاند، الذى أجبرته فاجعة باريس البشعة، بالعودة إلى لغة العقل والضمير، التي تفرض بدء العدّ العكسي لجدية اتخاذ القرار الآيل إلى القضاء على الإرهــاب وخلاياه النائمة شرقاً وغرباً، من دون أيّ اجترار لصورة الماضي القريب وتفاعلاته، التي رسموها تطويباً استعمارياً جديداً لهم في البرّ والبحر، وفوق جثامين الضحايا الأبرياء من أبناء هذا الشرق الحزين وبلادهم أيضاً، التي أصابه ما أصابنا بسبب قرارات حكامها الهمايونية، وأسلحتهم النارية الفتاكة، وثروات عملائهم الأغبياء، الذين يظنون أنّ الإرهاب بعيد عن ديارهم وقصورهم، وهو لو يدرون أقرب إليهم من حبل الوريد.

نأسف أن يكون النظام العالمي الجديد، الذي زرعوه مغلفاً بالشرّ والإرهــاب، ظناً منهم أنّ النصر النهائي ترسمه ثقافة «صدام الحضارات»، القائمة على تكريس الولايات المتحدة الأميركية كقوة أحادية عظمى، تملك العصا لمن عصى، دون حسيب أو رقيب، قد فشل فشلاً ذريعاً، لهذا المطلوب من فرنسا وحلفائها العضّ على الجراح والتواصل بسرعة مع الرئيس بشار الأسد وإيران وروسيا من أجل التوافق والتضامن من أجل جعل القضاء على الإرهاب مسألة إنسانية وطنية عالمية، تحمل صفة الأولوية في أجنداتهم قبل «فيينا» وحواراتها القائمة على قصر النظر.

فمشاريع الحوار بين الغرب المتعجرف والشرق المبتلي بالإرهاب المتوحّش، لن تؤتي ثمارها ما دام التوتر قائماً في الخطابات السياسية التي لا تستند إلى واقع المعارك العسكرية القائمة على الأرض السورية، لهذا لا يمكن أن ترسم خطط القضاء على الإرهاب والقيادة السورية خارج الحلبة، وتصريحات وزير الخارجية الأميركي تحمل المغالاة في فرض القوة والرأي، عبر اتهام الرئيس السوري أنه أبرم اتفاقيات مع «داعش» للمتاجرة بالنفط، هنا يتبيّن للمتابع والمراقب مدى حجم الإفلاس الذي تتخبّط به الإدارة الأميركية وحلفائها جميعهم.

إنّ الإدارة الأميركية تعلم تمام العلم، أنّ جميع الشعوب هي صاحبة الحق في تقرير مصيرها، وأنّ سياسة دولها ترسم من قبل سياسيّيها وقادتها المنتخبين برضى تام من قبل الشعب، وإنّ مصير الرؤساء لا يمكن أن تقرّره السلطة الأميركية النيرونية الممثلة حالياً للديكتاتورية العالمية، المسيطرة على وسائل الإعلام ومفاصل الاقتصاد العالمي، الذي به تقوى سياستهم وأساليبهم الرمادية، التي تسلب شعوب العالم الأمن والأمان.

لهذا يبقى البحث في أهمية غضّ النظر عن متابعة الحوار في فيينا من أجل سورية، وعدم التفتيش عمّن ينصبوهم معارضة سورية معتدلة، خصوصاً أنّ أحداث الفواجع الأخيرة في كلّ من باريس وشرم الشيخ قد قلبت ظهر المجن، وكذلك دماء الأبرياء التي غطت الحيّ الشعبي في برج البراجنة، والتي زادت الناس صموداً وثباتاً ضدّ الإرهاب وكلّ من يدعمه ويموّله ويدافع عنه ويسهّل ممرات سيره ومساره.

لهذا يبدو أنّ حوار الطرشان هو الظاهر من مسار الحوار في فيينا، حيث الحوار بحاجة حتمية إلى قناعات تعترف بانتصار الجيش السوري على أرضه، وبالتالي فإنّ من يفرض الشروط هو المنتصر، لهذا فإنّ ما يبدو من إصرار أميركي على وضع العراقيل القائمة على تنحّي الرئيس بشار الأسد القائد المقاوم المعترَف بشرعيته القانونية من الشعب السوري، ما هو سوى عملية ذرّ الرماد على مضامين الحوار وبالتالي تشجيع الإرهاب على التمدّد والانتشار الذي لن يكون بعيداً عن ديارهم وممالكهم الآيلة إلى السقوط.

لا بدّ من القول أخيراً أنه يجب أن لا يغيب عن بال الغرب أنّ القوة وثورة المعلومات والاتصالات، لا تعني أنّ من يملك مقوّماتها قادراً على استعباد الشعوب، وأنّ العالم قد أصبح قرية كونية صغيرة مفتوحة المسارات والآذان، حيث بدقيقة واحدة يستطيع أيّ مواطن عبر العالم كشف المستور، مما تنتجه المخابرات الدولية بواسطة أدواتها الإرهابية، الهادفة إلى تركيع الشعوب، التي باتت على بيّنة وإدراك تامّين لإحداثيات ومضامين المؤامرات التي ترسم في الكواليس، وتنتج هذا الإرهاب المتنقل الهادف إلى السيطرة الأحادية التي سقطت مضامين قوتها العالمية، وحيث لا بدّ من الاعتراف بأنّ النظرة الغربية الفوقية التي ترسم تحدّياتها مساراً لفرض القوة الاستكبارية على شعوب الأرض قد ولى زمانها.

* رئيسة ديوان أهل القلم

سئمنا سياسة المكيالين

■ شهناز صبحي فاكوش

تباعاً، حدثت تفجيرات اللاذقية، جنوب لبنان، باريس... الرابط هو «داعش» الذي تبنّى الأعمال الإرهابية. العالم يدين ما حدث في باريس، واهتزت عمائم المشايخ وانهالت دموع البيت الأبيض مدراراً واشتدّ نحيب أردوغان وحكام العرب.

أوباما يتباكى ويقدّم المعونات لباريس بلا حساب، والجميع يعتذر لأهالي الضحايا. أما التفجيرين الإرهابيّين في ضاحية بيروت الجنوبية، فيعتبرون أنهما وقعا في معقل لحزب الله، وبعد الاستهجان يعتذرون. كم يخطئون وكم يعتذرون؟ الكيل بمكيالين سياسة أصبحت هوية الإدارة الأميركية.

أما ما يحدث في سورية منذ خمس سنوات ويستمرّ فلا تهتزّ له عمامة، ولا تُذرف عليه دمعة، ولا يندّد به أحد. لا يأخذ أكثر من بضع كلمات بحروف صغيرة في الصحف، أو يمر خبراً عابراً. هل دماء الباريسيين أغلى بالمكيال الأميركي؟

تبّاً لبعض من يُدعونَ حكاماً عرباً... تُنتهَكُ حرمة الفلسطينيين منذ عشرات السنين، وهم لا يملكون إلا الصدور العارية، وأيد احتارت بم تواجه عدوها، بحجر أم سكين، والعرب يتفرجون ولا معين... القدس تُهوَّد والمسلمون صمٌّ بكمٌ عميٌ...

أما في التآمر على الأمة، ولا أشطر أصحاب قرار في ضرب ليبيا، وموحدي جيوش ضدّ اليمن. وتجاه سورية فهم التلاميذ النجب، يحفظون دروسهم وينفذونها بحذافيرها ويتبارون في تنويع المنتج. عرباً عملاء، وغرباً مستعمرين عبر التاريخ...

تَخطفُ هجمات باريس الإعلام المختلفَ. تبشر بها «يديعوت أحرونوت الإسرائيلية» بحرب عالمية ثالثة، لكنّ السؤال الأهم: هل هي حرب جيوش؟ هي حربٌ دخلت كلّ البيوت، حربُ تفتيت في العلاقات، وحرب تخريب في الفكر، والهدف الإسلام.

لماذا فرنسا؟ هل حقاً لأنها ضربت في سورية مؤخراً مواقع لـ«داعش»، ولماذا تضربها بعد عام ونصف من تحالفها مع واشنطن؟ هل لأنّ أكثر عدد للمسلمين في أوروبا هو في فرنسا، حيث يبلغ خمسة ملايين؟

هل جواز السفر الذي ظلّ سليماً لأحد الانتحاريين، ليدلّ على أنه سوري، مغلف بالواقي نفسه الذي حمى جواز سفر أحد السعوديين اللذين فجرا برجي أيلول؟ أي مصادفة هذه؟

هل من المصادفة طرح «الإسلامو فوبيا» ومظاهرات باريس وبعض الدول لطرد المسلمين من بلادهم والتوجه لعدم التمييز بين الإرهابيين المصنعين، والمسلمين القاطنين، وخصوصاً على المهاجرين؟

حتى «الغارديان» تربط بين 11 أيلول وباريس، وتعتبرها نقطة تحول كبرى، لتحديد العلاقة مع العالم الغربي، وإعادة إحياء مصطلح «الإسلامو فوبيا»، والثمن في حالة الغضب الارتدادية التي تعتري المجتمع، دوماً يدفعه المسلمون.

هل التطرف لدى الغرب مستورد كما حاله في أزمتنا؟ في الغرب أفعال تؤدي إلى نشوء حالات تطرف داخلية. ففرنسا التي تتباهى بقيمها الجمهورية بعد الثورة الفرنسية، هي في الحقيقة شيء وهمي، رغم أنها تُدرّس في الأكاديميات، كمثال.

فرنسا لا تمنح المواطنين المهاجرين إليها درجة المواطن الفرنسي، فهو مواطن من الدرجة الثانية، يعاني من التهميش، والتعامل غير العادل، ما يؤدي إلى خروج تظاهرات مناهضة وغاضبة من هذه الفئة، وذلك قبل نشوء الإرهاب بزمن.

هـذا ينطبق أيضـاً علـى كثير من الفرنسيين الفقراء المُهمَّشين في الأرياف، الذين يعيشون ضيق الحياة، مقابل عيش مزدهر لفئات تملك كلّ شيء بنفوذها. من هذه الفئات بعض المسلمين الذين لا يعرفون إلا اسم الإسلام، وهم يُطالبون اليوم بالحرية.

في مواجهة التشدُّد في العلمانية، ضدّ الحجاب والنقاب، مقابل الحالات التي توصف بأنها أكثر تديناً في السنوات الأخيرة. نشأت بعض الحالات التي تبعت الجماعات الإخوانية العربية. أما اليمين المتطرف الفرنسي فأحدث مفاجآت في الانتخابات مؤخراً

التفجيرات الأخيرة الممتدة لغير مكان، هدفها أن تقول عصاباتها إنها قادرة على أن تكون في أي مكان، وخصوصاً بعد تغيّر المعطيات التي طرحت مع ما دُعي بالشرق الأوسط الكبير. كذلك بعد استدارة الكثير من الدول في مواقفها تجاه «داعش».

«داعش» الإرهابي يتآكل من داخله، وأفعاله المنتشرة لا تعني أنها طويلة العمر، ويمكنه الاستمرار في أفعاله، وخصوصاً بعد اتخاذ القرارات الجدية في تجفيف المنابع الداعمة له. فيينا سترسو على أشياء جدية وجديدة، بعيداً عن جنيف الذي به يتشدّقون.

التقدم على الأرض السورية، طيّرصواب المجموعات الإرهابية، فكلما شعرت أنها في وضع صعب على الأرض، نراها تعتمد على خزانها المدرَّب من الخلايا النائمة التي تنتظر لحظة تصدير الأوامر، لتقدم إرهابها القاتل، كما حدث في جنوب لبنان.

روسيا التي تُقدم رسالة لجميع دول التحالف الدولي، بضرورة التنسيق الميداني والعسكري، وإزالة الإشكاليات كافة، ووضع رؤية متكاملة، وخصوصاً بعد العمليات الإرهابية مؤخراً، وأنه لا بدّ من تطوير العملية السياسية لحلّ الأزمة السورية.

العالم يتحدث عن العملية الإرهابية في فرنسا. إنها صدمة كبيرة، لأنها استهدفت الأبرياء. السؤال من هم سكان جنوب لبنان، ومن هم طلبة الجامعة في اللاذقية. من هم شهداء الأزمة السورية، أليسوا من الأبرياء. السؤال موجَّه إلى أميركا وفرنسا.

العملية الإرهابية في جنوب لبنان كانت حرفية، حسب تقديرات ذوي الخبرة. لأنّ لبنان محطة مهمّة بالنسبة إلى «إسرائيل»، إنْ في جمع المعلومات أو تجنيد العملاء، وهي دائماً تستغل الوضع السياسي في البلد للتجسس.

طيّب الله ثرى الرئيس حافظ الأسد الذي قال قبل أكثر من ربع قرن: نحن ضدّ الإرهاب أينما وُجد، الإرهاب مُدان وهو جريمة إنسانية وظلم صارخ، وعدوان سافر. ولقد كُتب علينا لأسباب مختلفة أن نتحمل العبء الأساسي في مواجهة العدو.

نحن مستعدّون من دون تردّد لتقديم التضحية المطلوبة. سورية دائماً تواجه قدرها بشجاعة وإيمان. بقلوب مؤمنة ونفوس راضية، ونتمنى على من ينكرون تضحياتها ألا يستمروا في هذا النكران.

دعا كثيرون إلى مؤتمر دولي، تحت رعاية الأمم المتحدة لتعريف الإرهاب، وتحديد معناه، والوقوف على أسبابه وجذوره، والبحث عن سبل مكافحته ومواجهته، قانونياً واجتماعياً ودولياً. ولكن لا حياة لمن تنادي، أوَ أنت مسمع الصُمّ والذين لا يفقهون.

الآن وبعد أن طالت النار أطراف ديارهم، وخشية من امتداد أذرع أخطبوط الإرهاب إلى مواقع وبلدان قد يعشش فيها، بدأ صراخهم للتعجيل بحلّ الأزمة السورية. خمس سنوات لم تعنيهم، حتى شربوا من ذات الكأس.

على الجميع أن يدفع بالعملية السياسية، وأن تكون فرنسا أكثر عقلانية، وأن يسقط العالم الغربي وأعداء سورية من حساباتهم تحويلها إلى أفغانستان صغيرة، وأن يلتزموا بتقديم اللوائح والأسماء لطاولة فيينا.

نحن اليوم في وضع أفضل على الأرض، عسكرياً وعملانياً، وهذا يُحسب في مفردات العملية السياسية، وعلى الولايات المتحدة الأميركية أن تتعامل مع الأزمة السورية بعيداً عن سياسة المكيالين، من أجل شعبها قبل فوات الأوان. فقد سئم وسئمنا...

خواطر من وحي الأيام

■ معن بشور*

1 ـ (ما يبعث الأمل)

لا يفهم سبب الحصار الإعلامي والمالي على مركز دراسات الوحدة العربية وسائر المؤسسات القومية الحاملة للمشروع النهضوي العربي إلا من يحضر هذه الأيام ندوة «مستقبل التغيير في الوطن العربي» والمستوى الراقي من الأوراق والتعقيبات والمناقشات التي سادت طيلة أيام الندوة الأربعة، والتي عبّرت عن معظم الأفكار والاتجاهات والأجيال الفكرية والسياسية الحاضرة في حياتنا العربية...

كما تميّزت الندوة بجرأة لم تغادر الموضوعية، وشجاعة لم تبتعد عن العلمية، في زمن غادر فيها العديد من المثقفين مواقعهم الوطنية والقومية، وابتعد فيه رجال فكر عن كلّ ثوابتهم.

إنها ندوة تبعث الأمل في زمن الإحباط والتيئيس المسلط على عقولنا وأفكارنا وحتى قلوبنا.

***

2 ـ (في وداع حكيم)

رحل الصديق الكبير المرحوم الدكتور عبد الكريم الأرياني، ابن العائلة اليمنية التي ارتبط اسمها بالعلم والقضاء والثورة، مثلما ارتبط اسم الراحل الكبير بالدماثة واللباقة والحنكة والحكمة، كان الراحل محاوراً من الطراز الرفيع، إذا خالفك الرأي خالفك باحترام لرأيك، وإذا وافقك الرأي وافقك باحترام لنفسه، لم نكن نزور صنعاء مرة إلا وكنا نحرص على زيارته نستمدّ من معينه زاداً ومن خبرته علماً ومن حصافته رؤى، كان قلقاً جداً على اليمن حين رأيناه للمرة الأخيرة في صنعاء قبل عام ونيّف، رحمه الله كان يمنياً مميزاً وموضع احترام الكثيرين داخل اليمن وخارجه. وحمى الله يمن الحكمة والأصالة والعروبة والكرامة والمنعة في وجه البغاة والطغاة والمعتدين.

***

3 ـ (من أجل مصر)

انطلقت من بيروت مبادرة من المنتدى القومي العربي في لبنان. مبادرة لتنظيم رحلة تضامن سياحية إلى مصر في ردّ رمزي على استهداف السياحة في مصر. في إطار استهداف الاقتصاد الوطني المصري كردّ من استهداف الأمن القومي العربي في القطر العربي الأكبر.

وهذه المبادرة التي يطلقها المنتدى هي الثانية بعد مبادرة مماثلة قبل سنوات إثر الهجمات الظلامية الدموية على أهداف سياحية في مصر انطلاقاً من قناعة المنتدى بأنّ ما يصيب مصر، أو أيّ قطر عربي إنما يصيب الأمة كلها.

هذه المبادرة هي دعوة لكلّ أبناء الأمة لتنظيم مبادرات مماثلة نحو مصر تعبّر عن تضامن الأمة مع قطرها الأكبر.

* الأمين العام السابق للمؤتمر القومي العربي